

قول

ثورة 1921: هذه نتيجة استفزاز أهالي يافا

10 ديسمبر 2024

الأكثر قراءة

رأصد

الطابو الإسرائيلي الجديد: نكبة صامئة وتمهيد لمصادرة نحو 70% من أراضي مناطق "ج"

1

تقارير

إبادة المستقبل.. كيف تصنع "إسرائيل" جيلاً مشوهاً في غزة؟

2

رأصد

فرض السيادة الإسرائيلية على المناطق "ب" في الضفة: ملف صحراء القدس

3

تقارير

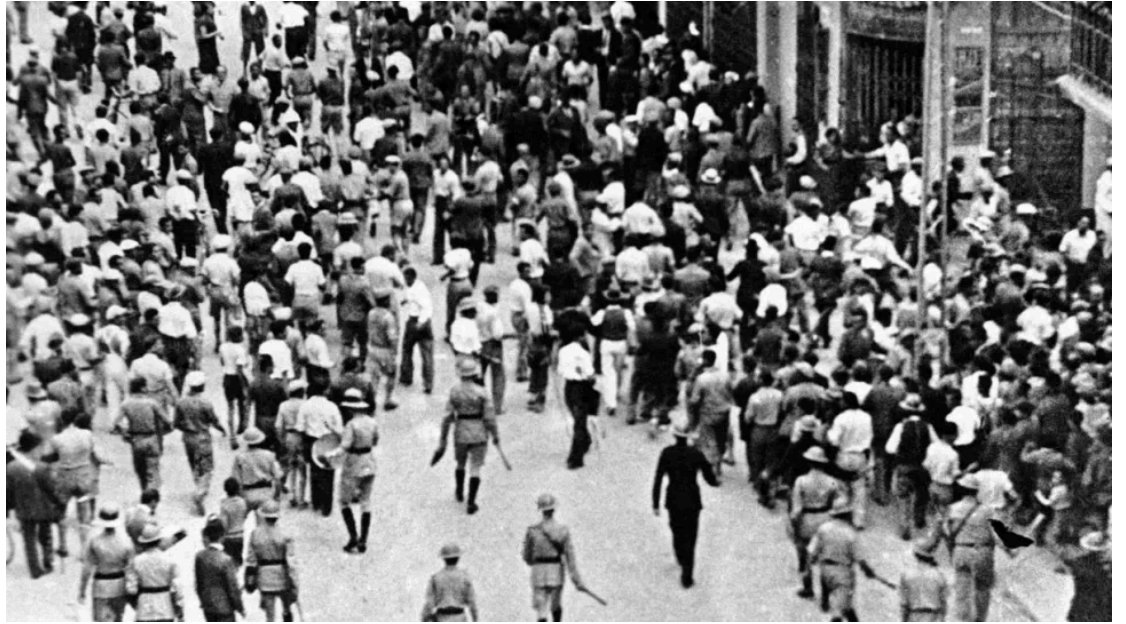
اغتصاب وتعذيب جنسي.. محررو غزة يروون لـ"الترافلسطين" فظائع السجون

4

تقارير

الجبهة الديمقراطية لـ"الترافلسطين": مصر عرضت على الفصائل خطة من 5 بنود وهذه تفاصيلها

5



حمزة العقرباوي
باحث في التراث الفلسطيني



تختصر مدينة **يافا** الساحلية حكاية فلسطين وأهلها مع الاستعمار، منذ بدء حلم المشروع الصهيوني بسرقة هذه البلاد وصولاً إلى حرب الإبادة الجذرية التي تُشنّ على قطاع غزة بشكل خاص، وعلى فلسطين بشكل عام، فالتوحش الاستعماري ذاته لم يتغير بأسلوبه وأدواته، وكذا الشعب الفلسطيني ذاته صابر محتمل في سبيل وطنه.

ولعل ما نشاهده اليوم من توحش إبديّ في غزة يطال كل مكونات الحياة؛ يدفعنا لتذكّر دروس الماضي، التي تقول: "الضغط يولد الانفجار، وأن الاستفزاز المُستمر يخلق من القط نمرًا"، وهاكم حكاية من ماضي بلادنا جرت بين الفلسطينيين والحركة الصهيونية في أول عهدها، ولعلها تنفع تذكيرًا من الفلسطيني للحركة الصهيونية في آخر عهدهم.

تقول الروايات بأن صبيًا يهوديًا
كان يلعب مع آخر عربي، فاقتتلا وهما
يلعبان في أحد أزقة حيّ المنشية،
وذلك سنة 1907، وعلى إثر (طوشة
الأولاد) تجمع شباب اليهود الروس،
ومشوا في مسيرة إلى حيّ المنشية
يُفتشون عن الصبي العربي، وَلَمَّا
ظفروا به ضربوه وجرحوه فأدموه

هذه الحكاية لها علاقة **بثورة** يافا التي كان سببها المباشر دخول المستوطنين
اليهود الشيوعيين صبيحة الأول من أيار/مايو 1921 إلى حيّ المنشية
العربي في يافا وهم يرفعون أعلامهم، فتصدّى لهم أبناء الحي ووقعت
اشتباكات كانت الشرارة التي فجّرت غضب الفلسطينيين. لكن السؤال
المهم: ما الذي سبق هذه الشرارة من أحداث ووقائع أدت إلى انفجار عرب
فلسطين في وجه المشروع الصهيوني؟

في هذه السطور نتتبع حكاية ثورة يافا قبل أن تقع:

• حادثة المنشية 1907

قليلة هي المصادر العربية التي تناولت حادثة المنشية في يافا التي حدثت
في العام 1907، ولعل ذلك لكثرة الأحداث الكبرى التي تتابعت على البلاد
فَشُغِلَ المؤرخون بما هو أكبر وأخطر، غير أننا نطالع في مذكرة مرسلة
من الأستاذ عمر البيطار رئيس الجمعية الإسلامية المسيحية في يافا إلى
رئيس لجنة التحقيق (هايكرافت)، الذي تولى التحقيق في أحداث ثورة
1921 في يافا، وفي هذه المذكرة يستذكر عمر البيطار الأحداث المهمة
التي سبقت ثورة يافا.

وبحسب المذكرة، التي نُعيد سرد ما فيها من أحداث ضمن سياقه، فقد استقبل عرب يافا من المسلمين والمسيحيين على السواء، القادمين إليهم من (اليهود الموسويين) وأحسنوا لهم، على اعتبار أنهم أصحاب كتاب سَمَوي، ولن يكون منهم أيّة أذية. ولعل واحدة من تلك الهجرات كانت هجرات اليهود من روسيا في الفترة بين 1906-1908، وقد اتسم هؤلاء اليهود بالعدائية وكثرة الإخلال بالأمن على الرغم من حُسن استقبال أهالي يافا لهم.

الصهاينة قبل الحرب العالمية الأولى كثفوا نشاطهم وظهرت بوادر عدوانهم وصار حديثهم الشاغل عن الوطن القومي الذي يريدونه في فلسطين، وصار الأمر جديًا بالنسبة لهم بعد وعد بلفور

شكلت حادثة المنشية في العام 1907 صدمة للعرب، وَلطمة قوية على وجوههم، فهل يُعقل "أن يكون هؤلاء القتلة هم ذاتهم الذين أحسنّا استقبالهم ومُعاملتهم!"، فكانت الحادثة أول الوعي لطبيعة هؤلاء القادمين للبلاد، الذين نزلوا حيّ المنشية والأحياء التي بدأت تُبنى خارج يافا بعد هدم سورها التاريخي وإزالته في العام 1879 بسبب تصدعه وتزعزع أساساته، وذلك قبل أن تبنى تل أبيب.

تقول الروايات بأن صبيًا يهوديًا كان يلعب مع آخر عربي، فَاقتتلا وهُما يلعبان في أحد أزقة حيّ المنشية، وذلك سنة 1907، وعلى إثر (طوشة الأولاد) تجمع شباب اليهود الروس، ومشوا في مسيرة إلى حيّ المنشية يُفتشون عن الصبي العربي، وَلَمّا ظفروا به ضربوه وجرحوه فأدموه، فهاج العرب من أهالي يافا لذلك ولم يستوعبوا الأمر، وهنا تدخل قائمقام القضاء، آصف بيك، وكان رجلاً تركيًا، وتحرك مع "قوميسر الشرطة" وبعض

الجنود إلى الفندق الذي ينزل به بعض متطرفي اليهود الروس، لا اعتقال الجُناة ولمنع حدوث مشاكل جديدة.

عند مدخل الفندق، بينما كان آصف بيك يهم بالدخول جاءه رد أحد المتطرفين الصهاينة بإطلاق النار، وعندما أطلقت النيران على القائِمقام والجنود وقائد الشرطة، رد الجنود على النار بالنار، وانتهى الأمر باعتقال وإصابة عدد من هؤلاء المُتطرفين. وقد شُغلت يافا أيامًا بالحديث عن هذه الحادثة، التي عرفت باسم "حادثة المنشية"، التي كانت صدمة لهم، وضمن إطار غير المتوقع.

• اعتقال التاجر النابلسي

بعد سنتين من حادثة المنشية شرع اليهود الصهاينة، ببناء محلة تل أبيب إلى الجنوب يافا العربية، وذلك في العام 1909، وقد بدأ التوتر خفيف بين العرب واليهود، وكان منبع هذا التوتر في البدء، أن اليهود يعملون في كل معامل وورش العرب في يافا وغيرها، لكنهم في معاملهم وورشهم لا يسمحون لأي عربي بالعمل عندهم.

وعلى ضوء هذا التوتر، وقعت حادثة أشعلت الأجواء، فقد قيل بأن فحّامًا من أهالي لواء نابلس باع يهوديًا من سكان المحلة الجديدة "تل أبيب" فحّما، فاختلفا فيما بينهما كما يختلف التجار والباعة. فقام الصهاينة بجر التاجر العربي إلى مدرسة (الجَمنازيا) اليهودية، فحبسه رئيسها الخواجة "بوغرا شوف" في إحدى حُجراتها، ولما علم العرب بالأمر ثارت ثائرتهم، ورفعوا الأمر للسلطات التركية في يافا فأخرجته حالًا، وبلغ الأمر إلى الأستانة التي أبدت اهتمامها بالأمر. وقبل أن يُلقى القبض على مدير المدرسة كان قد هرب خارج البلاد وتمكّن من الفرار إلى أوروبا. وقد حوكم غيابًا في محكمة الجنايات وظل مُلاحقًا حتى جاء الاحتلال البريطاني فأعاد للبلاد.

صار اليهود يُقبلون على السكن في يافا وأحيائها، ويتملكون ويسرقون ويشترون وتُسهل لهم الحكومة كل شيء، فصار عرب المدينة في قلق

وفوق ذلك تقول المذكرة: إن "اليهود قبل الحرب العالمية الأولى كثفوا نشاطهم وظهرت بوادر عدوانهم وصار حديثهم الشاغل عن الوطن القومي الذي يريدونه في فلسطين، وصار الأمر جدًّا بالنسبة لهم بعد وعد بلفور، وكادت الأمور تفلت من عقالها بسبب مُضايقاتهم للعرب، وهنا تدخل جمال باشا وقام بنفي أربعة عشر من هؤلاء الذين يُثيرون القلاقل في يافا، وأبعدهم إلى الأستانة وأوروبا".

لكنَّ مع دخول الإنجليز ليافا صار الأمر مُقلِّقًا، وتدفقت الهجرة للبلاد وصار اليهود يُقبلون على السكن في يافا وأحيائها، ويتملكون ويسرقون ويشترون وتُسهل لهم الحكومة كل شيء، فصار عرب المدينة في قلق، أما يهودها فأكسبهم الشعور بالقوة زهوًا مكنهم من رفع أعلامهم والتغني بالمملكة اليهودية المزعم إقامتها، كما كانوا يقولون.

• حوادث سنة 1918

في العام 1918 وبينما كان الشاب العربي مصباح أفندي أبو خضرة، يهم بالخروج من السينما في مدينة يافا بعد أن شاهد عرضًا، صدح صوت النشيد "مرش الأمل" فوقف اليهود المستوطنين جميعًا إجلالًا لنشيدهم، فما كان من صاحبنا العربي، إلا أن جلس في مقعده، فالأمر لا يعنيه والنشيد ليس نشيده ولا نشيد بلاده. وهنا جُنَّ جنونهم وتحرشوا به وأرادوا إجباره على الوقوف احترامًا لنشيدهم، وما فكَّه منهم إلا الجنود الإنجليز، الذين تدخل شاويشُهم، قائلاً: "لا يجوز إجبار أحد على القيام لنشيدكم".

فأعادت هذه الحادثة للأذهان ما سبقها من أحداث واعتداءات، إذ أنَّ الصهاينة كما يتضح من سيرتهم في يافا كُلِّما تمكنوا من البلاد واستقر لهم

الأمر زادت عدوانيتهم وكثرت اعتداءاتهم، وصار العربي قلقاً منهم.

أهالي يافا من الصيادين والبحارة علّموا الصهاينة الصيد بعد أن ألزمتهم الحكومة البريطانية تعليمهم هذه الصنعة وإلا فإن أسماكهم لن تُباع

في ذات السنة، أي سنة 1918، احتفل الصهاينة في مدينة يافا بأحد أعيادهم، فخرجوا للشوارع يشتمون النبي محمد، ويسئون للمسلمين، فَرُفِعَ الأمر للسلطات المُختصة فَعُرِّمَ الشاتمون بغرامة قدرها جُنيهين، مع أن القانون ينص على الحبس مدة لا تقل عن سنة. وتكرر الأمر كثيراً ورفعت شكاوي للجهات البريطانية، فأعرض عن الشكاوي.. وصارت الشكاوي وعدمها واحداً.

ولأنه من المُسلّم به أن "من أَمِنَ العُقوبة أساء الأدب" فقد خرج ثلاثة جنود يهود، وكانوا سُكّارى فمشوا في شوارع حيّ المنشية العربي وصاروا يشتمون الإسلام والمسلمين ويصرخون بأقبح الكلمات ضد العرب ورسولهم، وكان الواحد منهم يقول لصاحبه: "صلي على نبيك محمد، فيرد الآخر بشتن النبي ودينه". وقدمت ضدهم شكاوى لكن من غير أية فائدة.

واكتمل الأمر حين قام بعض الجنود اليهود بالصعود إلى منارة جامع المنشية الكائن قرب البحر وبالوا من أعلى المئذنة على المصلين، فاستاء المسلمون من ذلك، وقبل أن ينزلوا هرع لِنَجْدَتِهِمْ جنود كُثُر من مستعمرة تل أبيب وحموهم من العرب الغاضبين، بل إن الجنود شرعوا بضرب العرب، وقبل أن يُغادروا كسروا باب الجامع وشتموا المسلمين. فهاجت يافا وحقّ لها أن تفعل، فقد "جاوز الظالمون المدى".

• لا مكان للعمال العرب

مما يقال ولا يُنسى؛ أن أهالي يافا صار فيهم كما يقال: "علمته رَمي السَّهام فلما اشتد ساعده رمانى"، ذلك أن أهالي يافا من الصيادين والبَحارة علَّموا الصهاينة الصيد بعد أن ألزمتهم الحكومة البريطانية تعليمهم هذه الصنعة وإلا فإن أسماكهم لن تُباع، ثم بدأ اهتمام الصهاينة بالمهن والصنائع العربية فتعلّموها من العرب وأتقنوها، ثم فتحو المحلات في أحيائهم واستغنوا عن العرب كُلّياً.

وكان قبلها قد بدأ تجار الصهاينة ومن يتولى المناصب منهم ومن الإنجليز يحتكر تشغيل العمال اليهود في مشاريع الحكومة ودوائر الأشغال وغيرها، حتى أن الأبنية والترميمات التي أجرتها الحكومة في القشلة والسرايا ودوائر العدلية ودوائر الحكومة اشتغل بها اليهود وحدهم.

أهالي يافا كانوا غاضبين أيضاً بسبب شباب وشابات اليهود الذين يخرجون إلى الشوارع احتفالاً وابتهاجاً بطريقة مخلة بالآداب وَخادشة للحياء، ما يسيء إلى العرب وثقافتهم وعاداتهم

وفوق ذلك فقد ملكتهم الحكومة الأراضي المحلولة والمَوات والأراضي المُدورة الخصبة. فأخذوا ألوف الدونمات في جنوب يافا، وكذلك الأراضي الواقعة بالقرب من ملبس، وقد سهلت لهم الحكومة ذلك، وحرمت أصحابها العرب منها. وقد بدأ مَجْدُ "اليهود الصهاينة الوافدين من أصقاع الأرض يَعْلُوا، وأصحاب البلاد في عُسْرٍ وشدة وملاحقة واعتقال وتضييق".

وليس من العجب القول: إن "أهالي يافا كانوا غاضبين أيضاً بسبب شباب وشابات اليهود الذين يخرجون إلى الشوارع احتفالاً وابتهاجاً بطريقة مخلة بالآداب وَخادشة للحياء، ما يسيء إلى العرب وثقافتهم وعاداتهم".

كل هذا كما تقول مذكرة الوطني عمر البيطار والمرسلة إلى لجنة التحقيق كانت أحداثاً سابقة للثورة، فهل يعي قتل اليوم أن في وحشيتهم هذه وعدوانهم السافر بذار ثورات ستولد وستكبر والأيام حُلى بكل جديد.

الكلمات المفتاحية

الثورة

حرب غزة

الحركة الصهيونية

تل أبيب

يافا

المزيد من قسم قول



أرض الصومال والقرن
الإفريقي: قراءة في
استراتيجية إسرائيل بعد
حرب غزة

تعد أرض الصومال واليمن،
بحكومتيهما المناهضتين...



نهاية عام.. حروب
نتتيا هو ممتدة

يترقب العالم بداية عام جديد،
بينما ما يمكن ترقبه في...



كيف نحلم تحت الركام؟
سردية الحياة في غزة

لم نعد نُجيد الكلام عن المستقبل
كما يفعل الآخرون. الحرب ل...

الحريديم في
المستوطنات:
ديموغرافيا غير
أيدولوجية تعمق
الاستيطان وتُفشّل أي
حل سياسي

تشير المعطيات الرسمية إلى أن الحريديم
يشكلون اليوم نحو 38% من مجموع
الإسرائيليين المقيمين في مستوطنات...

اقرأ/ي أيضاً

